

الجهاد في فكر الإمام القرضاوي

د. عصام العبد زهد

قسم التفسير وعلوم القرآن - كلية أصول الدين

الجامعة الإسلامية - غزة - فلسطين

ملخص: إن الحياة مليئة بالتناقضات ، ففيها الحق إلى جانبه الباطل يناهضه ، وفيها الاستقامة والانحراف ، وفيها الخير والشر والعدل والظلم ، وفيها صاحب العقل والحكمة ، وصاحب الهوى والشهوة ، وفيها المظلوم المدافع عن أرضه ومقدساته إلى جانب الظالم المحتل المتغترس ، وإذا كانت الحياة بهذه الصورة ، فالجهاد ضرورة من ضرورتها لمنع الظلم والفساد والطغيان والاحتلال ، ولكي يبقى الأمن والسلام والاستقرار هو السائد بين الناس في الأرض ، لذلك جعلت هذا البحث الذي يحقق هذه الغاية النبيلة ، يتكون من أربعة مباحث الأول فيها يتحدث عن أساسيات في فقه الجهاد وأما الثاني فهو موضع منهج الإمام القرضاوي في فقه الجهاد ، وخاصة فيما يتعلق بجهاد المرأة ، والثالث لبيان النظرة الجهادية المعاصرة للقرضاوي ، وأما الأخير أوضحت فيه جهود القرضاوي وما يتعلق باستخدام وامتلاك أسلحة الدمار الشامل في دعم وتثبيت الجهاد على أرض فلسطين.

ثم أتبعته البحث بأهم النتائج والتوصيات المفيدة.

Jihad in Sheikh Yousef Al Qaradawi Thoughts and Opinions

Abstract: Life is full of Ambivalences, such as Rights Vs. Null and are in competition, Straightness in life Vs. Monoclonal, Benevolence Vs. Wrongdoing, Justice Vs. Injustice, A man with wisdom Vs. Careless and Pppressed who is defending for his land his holly places Vs, Settlers. Therefore, if life seems like what is mentioned, then Jihad is a must in such life.

However life should prevent injustice and Monoclonal to happen. Also to get rid of Occupation and have peace remains between people in such life. This had leded me to have my research concentrate on the following four points.

First: The principles in Gotten of Jihad.

Second: To show the methods of Sheikh Al Qaradawi.

Third: To show Jihad in Modern life in Sheikh Qaradawi methods.

Forth: I show the efforts which Qaradawi's has put in supporting and keeping in Palestine.

At the end my research consists of recommendations and suggestions to support the materials.

الجهاد في فكر الإمام القرضاوي

المقدمة

إن الحرب منذ القدم ضرورة اجتماعية وأخلاقية تلجأ إليها الجماعات البشرية لحل مشاكلها الإنسانية والاقتصادية والاجتماعية التي يستعصي حلها بالطرق السلمية ، ولولا الحروب لتعطل تقدم تلك الشعوب والجماعات في طريق العمران والمدنية والبناء الحضاري والقرآن أشار إلى ذلك بقوله تعالى: [وَلَوْ لَأَنَّ اللَّهَ دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ] {البقرة:251}.

ولكن الله | يدفع الناس بعضهم ببعض ، فيدفع الكافرين بالمؤمنين وينصر المؤمنين عليهم ، ليتم القضاء على شرورهم وفسادهم ، لأنه إذا تمكن المفسدون والمحتلون في الأرض فسيخربوا البلاد والعباد بالتعذيب والتدمير والقتل للأبرار من الناس ولكن الله لهم لبالمرصاد ، وإنه لذو فضل على العالمين .

إن القرآن الكريم منهج شامل لإصلاح المجتمع الإنساني من جميع جوانب الحياة، والجاهلية على مدار التاريخ البشري لا تسمح بإقامة مجتمع إسلامي يحكم إلى كتاب الله بل تحاربه بكل ما لديها من قوة منذ زمن بعيد ، فقد خاطبوا الرسل منطلق العودة إلى الجاهلية والكفر أو الخروج من الأرض ، قال تعالى: [قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُوذَنَّ فِي مَلْتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ] {الأعراف:88} .

إذا كان الطاغوت لا يسمح لدعوة الله أن تنتشر وتتمدد في أرجاء الأرض ويتفنن في قتل الدعاة حتى لا تصل الدعوة إلى قلوب الناس فتحييها بالعقيدة والإيمان ، فحينئذ يجب قتاله حتى يتوقف عن ذلك العدوان ولكن هيهات أن يُفْلح الأعداء في تحقيق أهدافهم أو النيل من عزيمة المجاهدين الذين التزموا منهج الله عقيدة وسلوكاً وأدركوا أن الحياة لا تصلح إلا بتحكيم الشريعة الإسلامية ، قال تعالى: [إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِنَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ لِلَّهِ إِنَّا أَمْرًا أَلَّا تَعْبُدُوا إِنَّا إِيَّاهُ دَعَوْنَا دِينَ الْقِيَمِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] {يوسف:40}.

لذلك يرى المسلمون والشيخ القرضاوي ، أن الجهاد ليس تحكماً وتسليطاً على العباد في الأرض ، أو فرضاً لعقيدة الإسلام بالسيف على رقاب الناس كما يدعي الغلاة أو المغرضون من أعداء الإسلام .

وإنما الهدف الأسمى للجهاد هو فتح الطريق أمام الناس ليصبحوا أحراراً في اختيار عقيدتهم الذي يريدون بعد إزالة السدود والموانع التي تحول بين الناس وهذا الدين بالطرق المشروعة والجائزة في مُدافعة الأعداء ، فهو جهاد للظالمين المحتلين والأنظمة الفاسدة ولهداية وإرشاد الناس وإصلاح الحياة بأسرها ، كل ذلك يتم بدون إكراه الناس وإنما بطريق التفكير

د . عصام العبد زهد

والتدبر والإقناع ، قال تعالى: [وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا] {الكهف:29}.

وبهذه الصورة فهم الصحابة - رضوان الله عليهم - فجاهدوا في الله حق جهاده من أجل صلاح الدنيا وإزالة الظلم وتحقيق العزة والكرامة والشرف وسيادة المبادئ الإسلامية بين الناس بالقناعة والاختيار.

لذلك يرى الشيخ القرضاوي t الجهاد بشقيه المدني والعسكري ضرورة لحفظ الأرض من الفساد ، ولتحرير الأوطان من تطاول المحتلين المتسلطين على عباد الله المؤمنين في فلسطين والعراق وأفغانستان وغيرها.

وكتابات الشيخ غنية بالعبر والعظات وهي زاد في طريق الدعاة والمجاهدين مما دعاني للكتابة في بيان المنهج الجهادي في فكر الإمام القرضاوي ، ليكون معلماً بارزاً ينير الطريق لمن أراد الوقوف على فقه الجهاد وأهدافه بعيداً عن المغالاة والتطرف أو التراخي والتسيب.

وخاصة أنني أرى أن الجهاد واجب على الشباب المسلم في فلسطين لمواجهة تحديات الاحتلال وبطشه وجبروته ، وأنه لا يمكن التعايش مع هذا الواقع المؤلم الذي يؤكد على ضرورة الإعداد للجهاد من جميع الجوانب المشروعة ولتحقيق ذلك ، جعلت البحث من المباحث التالية:

المبحث الأول: أساسيات في بيان فقه الجهاد.

المبحث الثاني: منهج الإمام القرضاوي في فقه الجهاد.

المبحث الثالث: الجهاد المعاصر في فقه القرضاوي.

المبحث الرابع: الجهاد الفلسطيني في فقه القرضاوي.

ثم خرجت بأهم النتائج وبعض التوصيات المفيدة ، أسأل الله | القبول وأن يجعل ذلك الجهاد في ميزان الحسنات إنه نعم المولى ونعم النصير.

الجهاد في فكر الإمام القرضاوي

المبحث الأول

أساسيات في بيان فقه الجهاد

إن هذا المبحث يتحدث عن مقدمات ضرورية تتعلق بفقه الجهاد ، الذي هو مطلوب من المسلمين عامة ، والعاملين في حقل الإسلام خاصة ؛ لأن القوى المعادية للإسلام تعلن حرب نفسية شعواء على الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، لذلك كان علينا أن نقاوم هذه الحملات المعادية بسلاح مضاد ، وهو نشر الأمل بانتصار الإسلام ، وإحياء فريضة الجهاد في نفوس الجيل الناهض ، الذي هو أمل الأمة في تحقيق المستقبل لهذا الدين ، وعودتها نحو التحرر وعودة الديار والمقدسات.

لهذا كان علينا أن نوضح أساسيات في فقه الجهاد تتمثل في تعريف الجهاد وبيان أركانه وشروطه وفضله والحكم الشرعي للجهاد في حالة فرض الكفاية والعين على المسلمين.

أولاً: تعريف الجهاد لغةً واصطلاحاً:

1- التعريف اللغوي:

إن كلمة الجهاد أصلها مشتق من مادة: جَهَدَ ، يَجْهَدُ وأجهد ومنها الجهد ويعني بذل الطاقة والمشقة ، وجهد الرجل نفسه ، فهو مجهود ، إذا وجد مشقة وتعباً ، وأجهد دابته إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها .
وأجهده المرض إذا أتعبه ، فأصبح منه هزياً ، وأجهد الشيب في الرأس أي كثر وأسرع في الانتشار .

وجاهد العدو مجاهدة وجهداً ، بمعنى قاتله وبذل الجهد في قتال الأعداء ، فهو مجاهد وهم مجاهدون ، وأكثر ما ورد الجهاد في القرآن المكي ، كان يراد به: بذل الوسع في نشر الدعوة الإسلامية والدفاع عنها (1) .

2- التعريف الاصطلاحي:

والمقصود بالجهاد - هنا - هو الجهاد الشرعي - ومعناه: هو بذل الجهد واستفراغ الوسع في محاربة أعداء الله سواء بالمال أو اللسان أو السنان لتكون كلمة الله هي العليا وتوصيل دعوته إلى الناس جميعاً في أرجاء الأرض (2) .

وذكر الراغب في مفرداته أن الجهاد ثلاثة أضرب:

(1) انظر: لسان العرب 135/3 ، وأيضاً المعجم الوسيط 142/1.

(2) فتح القدير 435/5 ، وأيضاً المنجد في اللغة ، ص:106.

د. عصام العبد زهد

1- مجاهدة العدو الظاهر .

2- مجاهدة الشيطان .

3- مجاهدة النفس .

وهذه الثلاثة تدخل في قوله تعالى: [وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ] {الحج:78} ،
وقوله تعالى: [وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ] {التوبة:41} (1).

ويرى الشيخ القرضاوي أن كلمة الجهاد أوسع في المعنى من كلمة القتال ؛ لأن لفظه الجهاد تشمل: جهاد المجاهد لنفسه ولشيطانه ، وجهاد المجاهد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقول كلمة الحق عند السلطان الجائر ، كما يشمل قتال المقاتل في سبيل الله .
كما ويرى أن الجهاد أعم من القتال والقتال أخص ، فكل قتال جهاد إذا توفرت فيه النية المشروعة ، وليس كل جهاد قتالاً (2).

وعرفه بعضهم بأنه: بذل الوسع والطاقة في القتال في سبيل الله بالنفس أو معاونة بمال أو رأي أو لسان ، أو تكثير سواد ، أو غير ذلك .

واستحسن الشيخ القرضاوي هذا التعريف واعتبره أقرب التعريفات إلى القبول ؛ لشموله على أكثر أنواع الجهاد التي جاء بها الكتاب والسنة ، ولأنه لم يحدده بقتال الكفار ليشمل قتال كل من تمرد على شعيرة ظاهرة معلومة من الدين بالضرورة كالصلاة والزكاة ، أو تحريم الربا أو الزنى أو الخمر ونحوها (3).

ثانياً: أركان الجهاد:

أوضح العلماء أن للجهاد الإسلامي أركاناً يقوم شأنه في ذلك شأن الصلاة والصيام وسائر العبادات في الإسلام ، نلخصها في التالي:

1- الإخلاص في النية:

يجب على المجاهد أن يعقد النية الصادقة المخلصة لله بقلبه عند الخروج إلى ساحات القتال أو القيام بأي عمل جهادي ، ويتخلص من الرياء والسمعة ، حتى يكون عمله مقبولاً ويثاب عليه في الدنيا والآخرة ، لأن أساس قبول الأعمال الإخلاص في النية مع الله ، قال تعالى: [وَمَا

(1) مفردات القرآن ص: 271 ، وانظر: تاج العروس ، لمحّب الدين (2/329-330).

(2) انظر: فقه الجهاد للشيخ القرضاوي (1 / 42).

(3) انظر: فقه الجهاد 53/1.

الجهاد في فكر الإمام القرضاوي

أَمُرُوا إِنَّا لَيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ [البينة:5] ، وقوله تعالى: [قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ] [الزمر:11] .

وقد جاء في الحديث الشريف عن أبي موسى الأشعري أن رجلاً أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ، الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياءً ، أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) (1).

يرشد هذا الحديث إلى إخلاص النية في الجهاد ، وأن يكون من أجل إعلاء كلمة الله ونشر دعوته في أرجاء الأرض بكل الوسائل الجهادية الواسعة النفس والمال والوقت والكلمة والسلاح ، وأما من قاتل من أجل المغنم أو الحمية الجاهلية أو الرياء فلا ثواب له ، حيث أوضح ﷺ أنه إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بنقوى الله ، ومن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال: (أغزوا باسم الله ، في سبيل الله) (2).

2- طاعة الإمام:

إن طاعة الجند للأمير المسلم ركن أساسي لنجاح العملية الجهادية وتحقيق النصر على الأعداء ، وأن القائد الناجح هو الذي يغررس عنصر الثقة بين الجند بقيادتهم وأيضاً القيادة بجنودها.

وأن عدم الطاعة للقيادة يؤدي إلى التفرقة وزعزعة الصف ، وللحفاظ على وحدة الصف الإسلامي أمر الله | بطاعة القائمين على أمر المسلمين من الأمراء (3) ، قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ] [النساء:59] ، وكذلك أوصى رسول الله ﷺ بطاعة القيادة ، عن أبي هريرة t عن النبي ﷺ قال: (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني) (4).

3- إعداد العدة:

ينبغي على قيادة المجتمع الإسلامي قبل اتخاذ القرار بإعلان الجهاد الحربي توحيد الصف وإعداد المقاتلين وحشد الطاقات المادية من مال وسلاح ، وما تتطلبه المعركة من آلات

(1) أخرجه مسلم، ك الإمامة ، باب: 42 ، الجزء الثالث ، ص1512-1513 ، حديث رقم 149-150.

(2) صحيح مسلم 1357/3، ك: الجهاد والسير ، باب: 2 (تأمير الأمير الأمراء) حديث رقم: 1731

(3) انظر: فقه الجهاد 660/1.

(4) أخرجه مسلم، ك الإمامة ، باب 8 ، مجلد 3 ، ص 1466 ، حديث رقم 32.

قتالية ولوازم الحرب الأخرى ، قال تعالى: [وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لِمَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ] {الأنفال:60}.

وفر رسول الله ﷺ القوة بالرمي حيث قال ﷺ: في المراد من القوة في الآية الكريمة: (ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي) (1)، والرمي يشمل جميع الأسلحة الحديثة لأنها قائمة على الرماية ، من الأسلحة الخفيفة إلى المدفع والطائرة القاذفة ولاجمات الصواريخ والبوارج البحرية.

وإعداد العدة يتطلب إنفاق المال في سبيل الله ، ولما كانت النفوس تميل إلى الشح والإقتار من النفقة في سبيل الله ، تكفل الله للمنفقين في سبيله بأن يخلفهم خيراً ، ويجزيهم الجزاء الأوفى ، قال تعالى: [وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ] {الأنفال:60} ، وقال ابن عباس: تدل التوفية على أنه يشمل الأجر في الدنيا والآخرة (2).

4- إرضاء الوالدين:

يُستأذن الوالدان في الجهاد الحربي عندما يكون الجهاد فرض كفاية ، حيث جاء عن ابن عمرو بن العاص t قال: (جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد ، فقال: أحي والدك ؟ قال: نعم ، قال: فيهما فجاهد) (3).

يرشد الحديث أن طاعة الوالدين ورعايتهما مقدم على الجهاد ، لأن رعاية الوالدين تتضمن مجاهدة النفس للحصول على رضائهما ، أما إذا كان الجهاد فرض عين فلا عبرة برضاء الوالدين ، لأن التغيب عن الجهاد معصية في هذه الحالة ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، قال تعالى: [وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا] {لقمان:15} .

وأكدت السنة النبوية المطهرة النص القرآني ، فقد جاء عن ابن عمر t عن النبي ﷺ أنه قال: (على المرء المسلم السمع والطاعة ، فيما أحبَّ وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) (4).

(5) صحيح مسلم 3/ 1522 ، ك: الإمارة ، باب: 52 (فضل الرمي والحث عليه) حديث رقم 1917

(2) انظر: التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، 60-59/10.

(3) صحيح مسلم ، كتاب البر ، باب بر الوالدين ، 1975/4 حديث رقم 5.

(4) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب 8 ، 1469/3 ، حديث رقم 38.

الجهاد في فكر الإمام القرضاوي

5- الثبات في المعركة:

يجب على المجاهد أن يثبت عند نزال الأعداء بروح مفعمة بالشجاعة والإقدام وأن يصبر ويصابر ويمضي قدماً في طريق النصر ، لأنه على الحق والأعداء على باطل ، قال تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** [الأأنفال:45].
وَأوصى ٣ بالصبر والثبات أثناء المعركة وأخبر أن الجنة تحت ظلال السلاح ، واعتبر U الفرار من أرض المعركة من السبع الموبقات عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله ٣ كان في بعض أيامه التسي لقي فيها العدو ، ينتظر حتى إذا مالت الشمسُ قام فيهم ، فقال: (أيها الناس ! لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف) (1).

ثالثاً: شروط الجهاد:

1- الإسلام: اشترط العلماء على أن الإسلام من شروط وجوب الجهاد باعتباره شرطاً لوجوب سائر العبادات أن يكون مكلفاً مسلماً بالغاً عاقلاً ، ولأن الكافر غير مأمون الجانب وفطنة ضرره أكثر من نفعه ، والحرب تقتضي المناصحة وهو ليس من أهلها ، ويدل على ذلك أن الله خاطب المسلمين وحدهم بالجهاد ، قال تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ** [الأأنفال:65] (2).

ويترتب على ذلك أن الجهاد لا يجب على الكافر ، لذلك فلا يأذن الإمام له بالخروج مع جيش المسلمين لغير حاجة حيث جاء عن عائشة أنها قالت: خرج رسول الله ٣ قبل بدر فلما كان بحرة الوبرة - على بعد ثلاثة أميال من المدينة - أدركه رجل - قد كان يذكرُ منه جرأة ونجدة - ففرح أصحاب رسول الله ٣ حين رأوه ، فما أدركه قال لرسول الله ، جئت لأتبعك وأصيب معك ، قال له رسول الله ٣: (تؤمن بالله ورسوله ؟ قال: لا ، قال: فارجع ، فلن أستعين بمشرك ، قال: ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل ، فقال له النبي ٣ كما قال أول مرة ، قال: (فارجع فلن أستعين بمشرك قال: ثم رجع فأدركه بالبيداء فقال له كما قال أول مرة تؤمن بالله ورسوله قال: نعم ، فقال له رسول الله ٣: فانطلق) (3).

(1) صحيح مسلم ، 1362/3-1363 ، ك الجهاد ، باب 6 ، حديث رقم 20.

(2) انظر مناهج الشريعة الإسلامية 3/ (338,339).

(3) صحيح مسلم 1449/3-1450 ، ك الجهاد والسير ، باب كراهية الاستعانة في الغزو بكافر ، حديث رقم

2- البلوغ: ولا يجوز الجهاد من الصبي ، لأنه ضعيف ولا من المجنون ، لأنه لا يستطيع الجهاد ولم يجز النبي ٣ ابن عمر يوم أحد ، لأنه كان صبياً حيث قال: (عُرِضَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ٣ يَوْمَ أُحُدٍ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً فَلَمْ يَجْزِنِي ، وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ ، وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً فَأَجَازَنِي) (1).

3- الكفاءة: وهي القدرة على حمل السلاح مع إجادة كيفية استعماله لخوض غمار المعركة مع الأعداء ، ويخرج بهذا الشرط الذين لا تتوفر فيهم السلامة من الأضرار ، كالعمى والعرج والمرض ، فهؤلاء لا يجب عليهم القتال لقوله تعالى: [لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ] [الفتح:17] .

وأضاف | إليهم ، الضعفاء والذين لا يجدون ما ينفقونه في سبيل الله ، قال تعالى: [لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرْجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] [التوبة:91] .

وهؤلاء المعذورون وإن منعتهم أعمارهم عن الجهاد إلا أن نياتهم صادقة بالجهاد تبلغهم درجات المجاهدين وإن لم يجاهدوا ، قال تعالى: [لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا] [النساء:95] .

وذهب ابن عباس إلى أن المعنى هو: أن الله فضل المجاهدين على القاعدين المعذورين درجة واحدة لاجتماعهم في النية ، والزيادة في العمل للمجاهدين ، وفضل المجاهدين على القاعدين غير المعذورين أجراً عظيماً ، وأولوا الضرر هم أصحاب الأعدار (2).

4- الذكورية:

لا يجب على المرأة الجهاد بمعنى القتال ، لأنها لا تستطيع القتال لضعف جسمها وخورها عند احتدام المعارك ، ولتقدم حق زوجها ، ولانشغالها بمصلحة أولادها ، حيث جاء عن عائشة أنها قالت: قلتُ يا رسول الله: هل على النساء جهاد؟ قال (جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة) (3).

(1) سنن الترمذي 211/4 ، ك الجهاد ، باب 31 ، حديث رقم 1711.

(2) انظر: جامع البيان للطبري ، 31/5 ، والكشاف للزمخشري 556/1.

(3) سنن ابن ماجه 968/2 ، ك المناسك ، باب 8 ، حديث رقم 2901 ، صححه الألباني.

الجهاد في فكر الإمام القرضاوي

أما خروج النساء إلى المعارك من أجل التمريض والمعالجة وتضميد الجراح وتأمين الطعام والشراب للجيش المسلم ، فلا بأس بذلك ، ولكنه غير واجب في حقهن⁽¹⁾.

ويؤيد ذلك الشيخ القرضاوي فيقول: "والذي أراه: أن الجهاد - بمعنى القتال - في الأصل ليس واجباً على النساء ، لما يستلزمه من جهد وعبء ومشقة لا تحتملها المرأة في العادة الجارية ، نظر لما يعترى المرأة - بحكم الخلقة - من الدورة الشهرية ، ومن آلام الحمل ، وأوجاع الوضع ، وأثقال النفاس ، وتبعات الإرضاع ، ورعاية الأطفال ، وهذا كله لون من الجهاد تتحملة المرأة ولا يتحملة الرجل ، لكن النساء من لا يُقدر لها الزواج ، ومنهن من لا يُقدر لها الحمل والولادة ، فينبغي أن تتاح لهنّ فرصة المشاركة في الجهاد بما يناسبهن"⁽²⁾.

وينبه الشيخ القرضاوي إلى ملحوظة ، وهي أن الحرب الحديثة لم تعد تقتضي من اللياقة البدنية ، والقدرة على احتمال المشقات كمان كانت في القديم ، فمعظم الحرب الآن تعتمد على الآليات ومعدات متطورة تكنولوجيا ، يحتاج استخدامها إلى العقل أكثر من استعمال البدن ، وهنا يمكن أن تقوم المرأة المدربة المتعلمة مقام الرجل... ويواصل القول: بأن المرأة المسلمة - بإيمانها وجمالها يمكنها أن تساهم في مساعدة الجيش المسلم المقاتل بأكثر من الإسعاف والتمريض ، وقد رأينا من نساء فلسطين من يقدمن أنفسهن فداء في عمليات استشهادية تُضرب بها الأمثال حيث أوجعت العدو وأذاقته الألم من حيث لا يحتسب⁽³⁾.

5- الاستطاعة: أن يكون المقاتل مستطيعاً ، والاستطاعة تتمثل في توفير الزاد والسلاح والمواصلات لقطع المسافات للوصول إلى ساحات القتال ، وإذا لم يتوفر ذلك فلا يستطيع المقاتل القيام بفريضة الجهاد ، قال تعالى: [وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلُوا لَتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ] {التوبة:92} .

وإذا بذل الإمام للمجاهد ما يحتاج إليه من نفقة وسلاح ، ووسيلة مواصلات وجب عليه أن يقبل ويجاهد ، لأن ما يعطيه الإمام حق له ، والدولة مكلفة بتوفير إعداد العدة للأعداء.

وذكر القرطبي في تفسيره (والجمهور من العلماء على أن من لا يجد ما ينفقه في غزوه أنه لا يجب عليه)⁽⁴⁾.

(1) انظر: مناهج الشريعة الإسلامية 339/3.

(2) فقه الجهاد 123/1.

(3) انظر: فقه الجهاد 124/1-125.

(4) الجامع لأحكام القرآن 229/8.

6- حرية: يشترط لوجوب فريضة الجهاد الحرية التامة للمجاهد ، ولا تجب من العبد المسترق بدليل أن النبي ﷺ كان يبايع الحر على الإسلام والجهاد ، بينما العبد يبايعه على الإسلام دون الجهاد ، ولأن الجهاد عبادة تتعلق بقطع مسافة فلم تجب على العبد كالحج ، ولتقدم حق الولي - السيد - لأن العبد مشغول بخدمته (1).

ونستطيع القول إن الجهاد لا يجب على الكافر ولا على الأنتى ولا على المجنون ولا على الصبي ، ولا على المعذور بمرض ونحوه ، ولا على الذي لا يجد النفقة لنفسه وأهله حتى يفرغ من الجهاد.

رابعاً: فضل الجهاد:

لقد ذكرت فريضة الهاد في الكثير من السور القرآنية حتى بلغت حوالي ثلاثين سورة منها سورة البقرة ، وآل عمران والنساء والأطفال والتوبة وسورة القتال وغيرها.

وتتضح أهمية الجهاد وفضله من خلال حث الشريعة الإسلامية على تأدية هذه الفريضة التعبديّة ، وحضها على خوض المعارك القتالية بصبر وثبات وبدون وجل ، وأن من صبر وصابر وجاهد له أجر عظيم في الدنيا والآخرة ، حيث فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین ، قال تعالى: [إِنَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى] {النساء:95}.

لقد أوضح الله | أن الجهاد بيع وشراء ، المؤمن يبيع نفسه وماله في سبيل الله ، والله | هو المشتري ، ومن أكرم وأجزل منه في العطاء ، قال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ] {التوبة:111}.

وبذلك فالجهاد تجارة رابحة بإذن الله ، لن تعرف الخسارة ولا البوار ؛ لأنها مع أكرم الأكرمين ، مع الله رب العالمين ، قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] {الصَّف:10-11} .

ويسمع حنظلة بن أبي عامر نداء الحرب في غزوة أحد ، وكان متزوجاً جديداً فخرج من بيته مسرعاً للقتال ، ولم يتأخر حتى يغتسل من الجنابة ، بل هرع إلى ساحة القتال حتى لا

(1) الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي 418/6 ، وتفسير ابن كثير 381/2-382.

الجهاد في فكر الإمام القرضاوي

يفوته فضل الجهاد في سبيل الله ، فقاتل حتى قتل ونال الشهادة فقال رسول الله ﷺ : (إن صاحبكم تغسله الملائكة ، فاسألوا صاحبه ، فقالت: خرج وهو جنب لما سمع الهيعة إلى القتال) (1).

وتحدث شيخ الإسلام ابن تيمية عن فضل الجهاد فذكر أنه أفضل الأعمال ، لأن نفعه عام يعود على المجاهد وأيضاً على المجتمع بأسره ، فقال: (إنه لم يرد في ثواب الأعمال وأفضلها مثل ما ورد فيه ، لأن نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا وهو مشتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة ففيه محبة الله والإخلاص له والتوكل عليه ، وتسليم النفس والمال لله الواحد القهار والصبر والزهد وسائر أنواع الأعمال وللقاتم به من شخص أو أمة له إحدى الحسينين إما النصر والظهر وإما الشهادة والجنة) (2).

خامساً: حكم الجهاد:

لقد فرض الجهاد على المسلمين في السنة الثانية من الهجرة عندما نزل قوله تعالى: **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ** [البقرة:216] .
وفرض الجهاد ينقسم حكمه إلى قسمين:

1- فرض كفاية: وهو الأصل في الجهاد أنه فرض على سبيل الكفاية ، إذا قام به البعض سقط عن الآخرين ويؤيد ذلك قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَاتَّقُوا ثُبَاتٍ أَوْ اتَّقُوا جَمِيعًا** [النساء:71] ، والنفير هو الخروج لقتال الأعداء ، ويكون بصورة فردية مصغرة وأيضاً بصورة جماعية كبيرة قال تعالى: **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ** [التوبة:122] ويؤيد ذلك الحديث الشريف عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً إلى بني لحيان من هذيل ، فقال: (لينبعث من كل رجلين أحدهما والأجر بينهما) (3).

وأوضح الإمام ابن قدامة فرض الكفاية فقال: "هو الذي إن يقم به من يكفي ، أتم الناس كلهم ، وإن قام به من يكفي ، سقط عن سائر الناس ، فالخطاب في ابتدائه يتناول الجميع ،

(1) السنن الكبرى للبيهقي ، باب 82 ، الجنب يستشهد في المعركة ، ج4 ، ص15 ، حديث رقم 7062.

(2) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، ص106.

(3) صحيح مسلم 1507/3 ، ك الإمامة ، باب 38 "إعانة الغازي في سبيل الله" ، حديث رقم 138837.

د. عصام العبد زهد

كفرض الأعيان لا يسقط عن أحد بفعل غيره ، والجهاد من فروض الكفايات في قول عامة أهل العلم" (1).

وقال العلماء لو وجب الجهاد على الجميع في المجتمع لتعطلت مصالح الأمة ، لأن الجميع سيتوجه لتأدية هذه الفريضة وهي ماضية إلى يوم القيامة ، ورحمة بالأمة ، جعل الله هذا الفرض على سبيل الكفاية (2).

2- فرض عين: لقد أوضح الإمام القرضاوي ، أن الجهاد فرض عين في أربعة مواضع نلخصها من كتابه فقه الجهاد³ وهي كالتالي:

أ- عند هجوم الأعداء على بلد مسلم: إذا هجم العدو على بلد من بلاد المسلمين أو خيف هجومه وبدت بوادره ، وهذه الحالة تُسمى (النفير العام) يصبح القتال فرضاً على أهل البلد جميعاً وعليهم أن يهبوا لقتاله رجالاً ونساءً حتى يخرجوه من بلادهم ، وإن لم يستطيعوا التغلب على الأعداء ، فتنقل فريضة العين إلى من حولهم من المسلمين ، وهكذا حتى يعمّ الفرض الأمة الإسلامية جميعها (4).

ب- استنفار الإمام لفرد أو طائفة معينة: إذا استنفر الإمام فرداً أو فئة معينة ، فيتعين عليهم الجهاد ولا يحل لهم التخلف إلا بعذر ، لأن الله | أمر بطاعة أولي الأمر ، قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ] {النساء:59} ، ويؤيد ذلك

قول رسول الله ٣ (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا) (5).

ج- إذا احتاج المسلمون إلى خبرة شخص معني: إذا علم المسلم أن الجيش المسلم في حاجة إلى خبراته العسكرية في مقاومة الدبابات ، أو الطائرات ، أو صناعة المتفجرات ، أو بناء التحصينات ، أو غير ذلك من الشؤون الحربية ولا يوجد عدد كافٍ يغني عنه ، وكذلك إذا كان يعرف مواقع العدو وعوراته ، فيجب عليه أن يقدم نفسه لخدمة الجيش المسلم والاستفادة من خبراته وجهده في ذلك المجال (6).

(1) انظر: فقه الجهاد ، 74/1.

(2) انظر: المحلي ، 291/7.

(4) انظر: فقه الجهاد (95 - 102).

(4) انظر: الأساس في التفسير ، 1157/2-1158.

(5) صحيح مسلم ، ج3 ، ك الإمارة ، باب 19 ، ص 1388 ، حديث رقم 86.

(6) انظر: فقه الجهاد ، 101/1.

الجهاد في فكر الإمام القرضاوي

د - إذا حضر المكلف المعركة: أن يحضر المكلف أرض المعركة بالفعل فلا يجوز له أن يرجع، لأن الهاد يتعين في حقه ويجب عليه الثبات ومقاتلة الأعداء ، والرجوع حينئذ يفت في عضد المسلمين ويدخل الوهن إلى صفوفهم ويجري عليهم عدوهم وفي هذا يقول الله تعالى: **إِيا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا** [الأنفال:45] (1).

المبحث الثاني

منهج الإمام القرضاوي في " فقه الجهاد "

لقد حدد الشيخ القرضاوي في كتابه " فقه الجهاد " الأسس التي اعتمد عليها في دراسته لفقه الجهاد في العناصر الأساسية التالية:

أولاً: القرآن الكريم:

الاعتماد على نصوص القرآن الكريم باعتباره المصدر الأول للإسلام ، وهو كتاب لا ريب فيه ولا خلاف عليه ، فهو قطعي الثبوت ، وهو محفوظ في الصدور والسطور ، تتلوه الألسن ، وهذا لا خلاف فيه بين الأئمة وهو الدليل والحجة على كل المصادر الأخرى بما فيها السنة المطهرة ، ويفهم هذا القرآن بحسب منطق لغته العربية الأصيلة دون تعسف أو تكلف ، مع اليقين بأن هذا الكتاب يُفسر بعضه بعضاً ، وأن نصوصه نزلت لتحقيق الهداية والرشاد في حياة الناس جميعاً ، إذا ما تمَّ العمل بكل ما جاء فيه من نصوص ، قال تعالى: **وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** [الأنعام:155] ، ويعتبر الإمام القرضاوي أن كل ما في المصحف معمول به غير منسوخ ، لأن ما ثبت باليقين لا يُزال بالشك (2).

ويتوقف الإمام الشيخ طويلاً عند من يقول ، إن هناك آية في القرآن سموها آية السيف نسخت مائة وأربعين آية أو أكثر اختلفوا في تعيينها إلى عدة آراء ، وإن انفقوا على أنها آية من سورة التوبة إلاً أنهم لم يحددوا أي آية منها حيث قال بعضهم هي آية **فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ** [التوبة:5] ، أو هي آية **وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً** [التوبة:36] ، أو هي آية **انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** [التوبة:41] أو هي **إِحتَى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** [التوبة:29] (3).

(4) انظر: فقه الجهاد 1/ 102.

(2) انظر: فقه الجهاد 1/ 20.

(3) انظر: فقه الجهاد 1/ 267-269.

د. عصام العبد زهد

ويتوسع المؤلف في بيان مسألة النسخ في القرآن الكريم ليحسب من أيدي المتشددین سلاحاً بتاراً قطعوا به رؤوس مائة وأربعين آية تدعو إلى الرفق والعفو واعتماد الحكمة والموعظة الحسنة في التعامل مع غير المسلم ، بدون تمييز في صفوف غير المسلمين بين قلة معتدية ظالمة حقها الدفع بالجهاد لرفع ظلمها عن البلاد والعباد وبين كثرة مسالمة موادعة غير معتدية حقها البر والقسط ، قال تعالى: **إِنَّا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** [الممتحنة:8] .

ومن حق كتاب الله علينا أن نقول لكل ما جاء بين دفتيه سمعنا وأطعنا ، وألا نجعله تفاريق نأخذ بعضه ونعرض عن بعض حيث حذرنا الحق تبارك وتعالى من ذلك ، قال تعالى: **إِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ وَاللَّهُ يَسْمَعُ السَّمْعَ كُلَّ حَرْفٍ وَمَنْ يُضِلُّ يَشُدُّ يَضَلُّ وَمَنْ يَهْدِ يَجْعَلْ لِنَفْسِهِ أَجْرًا عَظِيمًا** [البقرة:282] .

ثانياً: اعتماد السنة الصحيحة:

إن السنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير ، والتي جاءت بها الأحاديث صحيحة السند بلا انقطاع ولا شذوذ ولا علة ولا تعارض القرآن أو أحاديث أخرى ، بل شارحة للقرآن وتسير في ضوء ما أنزل الله من الكتاب والميزان ، رحب الشيخ به واعتبره من منهجيته ، ولم يعتمد على حديث ضعيف في سنده وإن صححه بعض المشاهير كما لا يعتمد قاعدة التقوية بكثرة الطرق والشواهد ولا سيما في الأمور الكبيرة الحساسة ، التي تتعلق ببيان موقف الإسلام من قضايا خطيرة ، كبيان العلاقة مع الأمم الأخرى أهي السلم أم الحرب ؟

ولهذا فقد ضعّف مثلاً: عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **(بعثت بالسيف ، حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم)** (1) الذي اشتهر بوجوب محاربة العالم كله ، ضعفه سنداً ومنتناً ، وأحاديث أخرى معتمداً على منهج المحدثين في الجرح والتعديل جامعاً بين الفقه والحديث .

كما أنه اعتنى بتخريج آثار الصحابة وتابعيهم من مصادرها الأصلية التي اهتمت بنقل أقوالهم بأسانيدهم مثل: مصنف عبد الرزاق الصنعاني وابن أبي شيبة ، السنن الكبرى للبيهقي وغيرها .

(1) مسند الإمام أحمد ، ج2 ، ص 50 ، 92 ، ضعفه الشيخ القرظاوي ، انظر: فقه الجهاد 316/1 ، 325 .

الجهاد في فكر الإمام القرضاوي

وأول حديثاً صحيحاً يأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله) (1) حيث تم حمله على أنه لفظ عام أريد به خصوص مشركي العرب المعتدين ، كما وأُخبر أنه إذا وجد القارئ في كتابه حديثاً ضعيفاً ، فليس للاحتجاج به أو الاعتماد عليه ، إنما جاء به لمجرد الاستئناس لا الاستدلال (2).

ثالثاً: الاعتراف من بحر الفقه كله:

لقد اعترف الإمام الشيخ القرضاوي من بحر الفقه كله دون تحيُّر لمذهب دون مذهب، ولا انغلاق على إمام دون إمام ، لأنه يعتبر هذه التركة من الفقه ملكاً لكل باحث ، يغوص في أعماقها ويطلع على خباياها بالتنتقيب والمقارنة بين الأقوال ، دون تعصب لرأي وتقليد دائم لمذهب ، ودون اقتصار على المذاهب المشهورة ، بل أنه يأخذ في بعض الجزئيات من مذهب الزيدية أو الجعفرية إذا وجد الحلَّ فيها ، أو يأخذ ببعض المذاهب المنقرضة كمذهب الأوزاعي والثوري أو الطبري.

ويُناقش أقوال الآخرين مناقشة علمية موضوعية هادئة مهما كانت شهرة أصحابها ، وعلو كعبهم في مجال العلم والتخصص ، معتمداً على منهج المقارنة والتحليل والنقد والترجيح، ولا يدعي أن رأيه الصواب الذي لا يحتمل الخطأ ، وأن رأي الغير هو الخطأ الذي لا يحتمل الصواب ، بل يأخذ بقول أبي حنيفة t هذا رأينا ، فمن جاعنا بأحسن منه قبلناه (3).

كما أنه رفض الرأي القائل بالاستغناء عن الفقه كلّه ، والبدء من جديد بالرجوع إلى النصوص وحدها ، وميِّز بين الشريعة والفقه ، باعتبار الشريعة وضع إلهي أي وحي من عند الله، والفقه الحق ليس النقل من الكتب بل اجتهاد الفقيه لزمانه ومكانه ، لأن ما صلح لعصر لا يصلح لغيره ، ولا سيما أن التغيير في زماننا أصبح كبيراً نتيجة للنقلة الحضارية التي خطاها العالم بأسره (4).

(1) أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب الإيمان ، باب 8 ، مجلد 1 ، ص 53 ، حديث رقم 36.

(2) فقه الجهاد ، 22/1-23 ، وأيضاً 326/1-327.

(3) انظر: فقه الجهاد 32/1 ، 24.

(4) انظر: الاجتهاد في الشريعة الإسلامية للقرضاوي ص: 247 طبعة دار القلم الكويت.

د. عصام العبد زهد

رابعاً: اعتماد منهج المقارنة بين الإسلام وغيره من الأديان والقوانين:

لم يكتف الشيخ الإمام القرضاوي t في المقارنة بين المذاهب والآراء الفقهية ، بل أنه قارن بين فقه الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية الغربية ، موضحاً مدى أصالة الشريعة ومثانة قواعدها ، واستقلالها عن غيرها ، وجمعها بين المثالية والواقعية والربانية والإنسانية ، وأوضح بالدليل القاطع أن شريعة الإسلام في الجهاد ، هي شريعة العدل والرحمة والإحسان وأن الحرب فيها تحكمها القيم الأخلاقية والمثل العليا النبيلة ، فلا يقتل فيها إلا من يقاتل ، ولا تقبل امرأة ، ولا طفل ، ولا شيخ هرم ولا راهب في صومعته ، ولا يشهر السيف إلا على المحاربين ، وأن يد المسلمين ممدودة أبداً لمن جنح إلى السلم بخلاف ما جاء في التوراة المحرفة من يهود أن اضربوا جميع ذكورها بح السيف ! لم يستثن طفل صغير ولا شيخ كبير⁽¹⁾ وهذا ما أفتى به الحزام عباديه يوسف أحد حخاماتهم بقتل الأطفال الفلسطينيين وخاصة الرضع إذا شكلوا خطراً على كيانه المصطنع.

خامساً: الربط بالواقع المعاصر:

أوضح شيخنا القرضاوي أن على الفقيه المسلم إذا تحدث عن الجهاد أن يدرك الثوابت في هذه القضية مثل سنة التدافع التي قررها القرآن في دفع الله الناس بعضهم ببعض ، وفرضية إعداد القوة المستطاعة لإرهاب أعداء الله وأعداء الأمة ، ووجوب قتال من يقاتل المسلمين ، وتحريم الاعتداء بقتل من لا يستحق القتل ، واستبقاء روح القوة والبذل والتضحية في الأمة باستمرار ، وتربية أبناء الأمة على العزة والكرامة مع الدعوة إلى السلام والتسامح. وأوصى بالاهتمام بالمتغيرات التي حدثت في العالم مثل: استنكار الحروب ، والرغبة في السلام ، وظهور مواثيق دولية ترعى حقوق الإنسان ، ونظام الأمم المتحدة واحترام سيادة الدول.

ويؤكد أننا نستطيع أن نعيش في ظل إسلامنا في عالم ينادي بالسلام لا الحرب ، وبالأمان لا الخوف ، والتسامح لا التعصب ، وبالحب لا بالكراهية ، نستطيع التعايش مع الأمم المتحدة ، والقوانين الدولية ، ومواثيق حقوق الإنسان ، وجماعات حماية البيئة ، ولا عجب فقد كان السبق للإسلام في رعاية ما من شأنه إحداث التوازن في الحياة البشرية والكون بأسره.

(1) انظر: فقه الجهاد 1 / (23، 25، 26).

الجهاد في فكر الإمام القرضاوي

والحق أن مشكلتنا الكبرى مع إخواننا المتشددین الذين أغلقوا على أنفسهم النوافذ وأصروا على وجهة نظر واحدة وتصبوا لها ولا يريدون غيرها ، آفتهم أنهم يحيون في الماضي لا في الحاضر، وفي الكتب لا في الواقع (1).

سادساً: تبني منهج الوسطية:

لقد تبني الشيخ الإمام القرضاوي في كتابه " فقه الجهاد " المنهج الذي اختاره ورجحه في الدعوة والتعليم والإفتاء والبحث والإصلاح والتجديد ، وهو منهج الوسطية والاعتدال ، المنبثق من قوله تعالى: [وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا] {البقرة:143} ، وقوله تعالى: [أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ] {الفاتحة:6} ، وهو المنهج الذي ندعو الله أن يهدينا إليه في صلواتنا عندما نقرأ الفاتحة في كل ركعة.

ومن معالم هذا المنهج في الفقه والفهم والاجتهاد تجديد الدين من داخله ، فنجتهد لعصرنا ، كما اجتهد علماءنا السابقون لعصرهم ، وأن نفهم النصوص في إطار المقاصد الكلية ، وأن يزيد المتشابهات إلى المحكمات ، والطنيات إلى القطعيات ، وأن نشدد في الأصول ونيسر في الفروع ، وأن ننفع بكل قديم نافع ونرحب بكل جديد صالح ، وأن نلتمس الحكمة من أي وعاء خرجت ، ونلائم بين متغيرات العصر وثوابت الشرع (2).

سابعاً: عدم الانفراد بالرأي:

نستنتج من خلال دراسة " فقه الجهاد " أن الشيخ القرضاوي كان حريصاً على ألا يبرز في الساحة لوحده منفرداً بموقف دون بقية الفقهاء ، بل هو شديد الحرص على أن يجعل إلى جانبه شركاء من العلماء القدامى والمحدثين ، حتى وإن كانت آراؤهم متروكة أو مجهولة فكان ينفذ عنها الغبار ويُلقي عليها الضوء ويعيد عرضها بصورة تبعث فيها الحياة من جديد ونراه حريصاً على تعزيز مواقفه بما يتلاءم معها من قيم وخبرات ، مستفيداً من اطلاعه الواسع على الثقافة المعاصرة ومصادر الفقه الإسلامي ، صانعاً من كل ذلك صورة جديدة متماسكة ، أصيلة ومعاصرة للجهاد الإسلامي تتمتع بمساحة اشتراك واسعة مع السائد في دول العالم من ثقافة معاصرة حول السلم والحرب ، الجديد فيها أنها خرجت بصورة مقبولة مقنعة لدى الجميع بعد ما كانت متناثرة في بطون الكتب و وهذا مما يجعل ساحة العمل الإسلامي ساحة لقاء ووافق تجمع كل الأطراف ، وتلك تقاليد عريقة يمتاز بها فطاحل علماء السنة صنَّاع الوفاق والوحدة والتجمع

(1) انظر: فقه الجهاد 27/1-29.

(2) انظر تيسير الفقه للمسلم المعاصر في ضوء القرآن والسنة ص: (24-26).

للأمة كل الأمة من مشرقها إلى مغربها ، لذلك لم يكن المؤلف مبالغاً في تقدير كتابه هذا أنه يمثل حاجة شديدة لفئات واسعة من أبناء الأمة وعلى وجه الخصوص ، الشرعيين والحقوقيين والإسلاميين والمؤرخين والسياسيين والعسكريين وجمهور المتقنين⁽¹⁾.

المبحث الثالث

الجهاد المعاصر في فقه القرضاوي

أولاً: حقيقة الجهاد ومراتبه ومجالاته:

لقد تعرض مفهوم الجهاد في الإسلام لسيل عارم متتابع من الإساءات إليه وإلى المسلمين من خلال أولئك الذين أوقعوه بني طرفي الإفراط والتفريط ، حيث أنه يوجد فئة تُريد أن تلغي الجهاد من حياة الأمة ، وأن تشبع فيها روح الاستكانة والاستسلام بطرق مختلفة ، كالدعوة إلى التسامح والسلام مع المخالفين وهؤلاء يريدون أن يحذفوا السور والآيات التي تُرغب في الجهاد ، ويصف الشيخ القرضاوي أمثال هؤلاء بأنهم عملاء للاستعمار وأذئاب يعملون على تنفيذ المخططات الاستعمارية في المشرق الإسلامي ، وتجفيف منابع الإسلام الأصلية التي تغرس العزة والكرامة والشرف في نفس المسلم ، والغيرة على الحرمات ، والشجاعة في الحق والمقاومة للأعداء ، فهؤلاء المغرضون استطاع الاستعمار أن يصنع منهم فرقاً اختالقت لها إسلاماً بدون جهاد ، وجعلت همها الدعوة لمثل هذه الأفكار الهدامة مثل البهائيين والقادبانين⁽²⁾.

وفي مقابل هؤلاء فئة على النقيض منهم تُريد أن تجعل من فكرة الجهاد حرباً حُرُوساً، تشنها على العالم بأسره ، من سالم ومن حارب لأن الأصل عندهم في بيان علاقة المسلمين بغيرهم هو الحرب ، والأصل في الناس جميعاً أنهم أعداء للمسلمين ما داموا على غير دين الإسلام⁽³⁾.

وقد يلتقي هؤلاء المتشددون مع بعض المستشرقين المتحاملين الذين عرفوا الجهاد كما هو في دائرة المعارف وقالوا: بنشر الإسلام بالسيف ، فرض كفاية على المسلمين كافة ، حتى جعلوا الجهاد ركناً سادساً.

ولقد تصدى الشيخ القرضاوي لهذا الغلو بطرفيه ، من خلال التحليل اللغوي لمادة الجهاد ، حيث تدور حول بذل الجهد والوسع في نصرته الدين والدفاع عن حرمات الأمة وفي

(1) انظر فقه الجهاد 1/ (30 - 35): موقع القرضاوي ، ما الجديد في جهاد القرضاوي ، للشيخ راشد الغنوشي.

(2) انظر: فقه الجهاد 1/ 193. وأيضاً 1/ 222.

(3) انظر: فقه الجهاد ، 129/1.

الجهاد في فكر الإمام القرضاوي

جهاد النفس والشيطان ، وجهاد الفساد والظلم والمنكر ، وجهاد الدعوة والبيان ، وجهاد الصبر وأسمى ذلك بالجهاد المدني ، وقال بأن هناك جهاد الأعداء بالسيف ، وأوضح متى يستخدم السيف في حالات الاعتداء على أرض المسلمين ومقدساتهم ، أو على حريتهم ومقدراتهم وإذا استنفر الإمام أبناء الأمة للقتال⁽¹⁾.

وفرق شيخنا بين مصطلح الجهاد ومصطلح القتال من ناحية الاشتقاق اللغوي وأوضح أن القتال هو الشعبة الأخيرة من شعب الجهاد وهو القتال بالسيف أي استخدام السلاح في مواجهة الأعداء ، ثم خلس إلى نتيجة منطقية ، بين الجهاد والقتال عموم وخصوص مطلق ، فالجهاد أوسع وأعم من القتال ، فكل قتال جهاد إذا توفرت فيه النية المشروعة ، وليس كل جهاد قتالاً ، وأمر الله | المسلمين في مكة بالجهاد ولم يكن قتالاً آنذاك قال تعالى: [وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا] {الفرقان:52}⁽²⁾.

واستعان شيخنا بما نقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية بأن الجهاد يكون بالقلب والدعوة إلى الله وإقامة الحجة على المبطلين ، إحكام الرأي والتدبر لعلمه فيما فيه النفع للمسلمين إلى جانب الجهاد بالبدن وهو القتال ، وأيضاً يستشهد بأحد علماء القرن الرابع عشر العلامة ابن القيم وهو تلميذ ابن تيمية في توضيحه لمجالات الجهاد الواسعة التي تجعل من كل مسلم مجاهداً وليس مقاتلاً ، من خلال حديث عن مراتب الجهاد المتعددة ، حيث حصرها في ثلاث عشرة مرتبة ، نحصرها في التالي:

- 1- جهاد النفس وفيه أربع مراتب: جهادها على تعليم الهدى ، وجهادها على العمل بمقتضى الشريعة ، وجهادها على الدعوة إليه ، وجهادها على الصبر في طريق الإيمان .
- 2- جهاد الشيطان: حيث حصره في مرتبتين ، جهاد ما يلقيه من شبهات قادمة في العقيدة ، وجهاد الشهوات والمفاسد التي يدفعها الشيطان في نفس الإنسان .
- 3- جهاد الكفار والمنافقين ، وهو أربع مراتب ، بالقلب واللسان والمال والنفس .
- 4- جهاد الظلمة والفساق: وهو ثلاث مراتب ، بالبدن إذا استطاع ، وإذا عجز فباللسان ، فإذا عجز فبالقلب ، ويعتبر شيخنا أن الجهاد ضد الظلم والفساد في الداخل مُقَدَّم على جهاد الكفر والعدوان والخارجي وذلك لإيمانه بضرورة إصلاح الجبهة الداخلية للمجتمع حتى تقوى وتستطيع المجابهة الخارجية ، إلّا أنه يؤكد على المواجهة السلمية هي الأصل في الوقوف

(1) انظر فقه الجهاد 1/130 ، 131 .

(2) فقه الجهاد ، 1/ ص42 .

في وجه الظالمين داعياً إلى الاستفادة مما طول الآخرون من صيغ معقولة في مواجهة سلاطين الحور مثل مجالس الشعب المنتخبة ، والاحتجاجات ، والإضرابات ، وحرية تكوين الأحزاب ، وحرية الصحافة ، وحرية المعارضة للحكومة ، وحق الأمة في انتخاب الحاكم ومحاسبته وعزله سلمياً ، بحيث أن نضفي على كل ذلك من روحنا وقيمنا ومن شريعتنا ما يصبغ تلك الأمور بالصبغة الربانية الإسلامية⁽¹⁾.

ويتوصل شيخنا من خلال استقرائه لفقه الجهاد إلى المجالات الواسعة التي يعمل من خلالها المجاهد وهي تشمل المجال العلمي ، والثقافي ، والاجتماعي ، والاقتصادي ، والتعليمي ، والتربوي ، والمجال الصحي والطبي ، والمجال البيئي والمجال الحضاري ، جهاد من أجل تعليم الجاهل ، وبذل الجهد في تشغيل العاطل ، وتدريب العامل ، وإشباع الجائع ، وإكساء العاري ، وإيواء المشرد ، ومداواة المريض ، وبناء المدارس والجامعات التي تنتسح لكل طالب ، وبناء المسجد والنادي ، وتوفير سبل العيش الكريمة لأبناء المجتمع الإسلامي⁽²⁾.

ثانياً: أهداف الجهاد العسكري:

إن الجهاد في الإسلام له أهداف عليا نبيلة يسعى لتحقيقها من وراء العملية الجهادية ذكرها الشيخ القرضاوي وبعد ذلك أبطل بالحجة والبيان ما ادعاه البعض من أهداف الجهاد الإسلامي وبيانها كالتي:

أ- الأهداف التي من أجلها شرع القتال في الإسلام:

1- رد الاعتداء: اعتبر الشيخ أول أهداف القتال العسكري في الإسلام ، هو دفع الاعتداء وردّه بالقوة سواء كان هذا الاعتداء واقعاً على الدين أم المواطن والوطن أو الأرض ، والإسلام يعتبر بلاد المسلمين كلاًها وطناً واحداً ، هي دار الإسلام ، فالاعتداء على جزء منها اعتداء على جميعها ، ومسئولية الدفاع عنها تقع على الأمة الإسلامية كلاًها ، وكذلك رد الاعتداء الواقع على حرمان الأفراد في أنفسهم وأموالهم وأهليهم.

كما يعتبر الإسلام الاعتداء على " أهل الذمة " اعتداء على المسلمين أنفسهم فهم من أهل دار الإسلام وحرمتهم من حرمة المسلمين.

(1) فقه الجهاد ، 196/1-198.

(2) انظر: فقه الجهاد ، 214/1-221.

الجهاد في فكر الإمام القرضاوي

ويوجب الإسلام على المسلمين ، أن يقفوا في وجه الاعتداء أياً ما كان المعتدون أو المعتدي عليهم ، ويتصدوا له ليدفعوه عنهم ، ويردوه عن حُرْمَاتِهِمْ بسيف القوة ، وقوة السيف⁽¹⁾.

2- منع الفتنة أي تأمين حرية الدعوة: إن الهدف الثاني من أهداف الجهاد العسكري ، منع الفتنة في الدين وهي من أشد وأخطر الأمور على الإنسان وعلى حرية اختياره ، لأن أهل القوة والجبروت يريدون أن يتحكموا في ضمائر الناس ، كما قال فرعون منكراً - على السحرة من أبناء مصر إيمانهم برب موسى وهارون ، قال تعالى: [قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ] {طه:71} ، ومعنى ذلك: أنه لا يجوز لعقل أن يقتنع بفكرة ولا لقلب أن يؤمن بعقيدة إلا بإذن فرعون ، وإذا خالف وآمن تعرض للبطش والتكيل والتصليب في جذوع النخل⁽²⁾.

3- إنقاذ المستضعفين: إنقاذ المستضعفين من ظلم الجيَّارين وتسلُّط المستكبرين في الأرض بغير الحق الذين يستخفون بحرمان الضعفاء ويسومونهم سوء العذاب ويهدرون إنسانيتهم ، لأنهم يملكون القوة التي تُخرس الألسنة أن تتكلم ، وتكره الناس على أن يسكتوا عن الحق أو ينطقوا بالباطل.

فواجب على المسلمين العمل على تحريرهم من ظلم الطاغوت ، وإغاثة هؤلاء الملهوفين وإنقاذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذي لا يستطيعون حلية ولا يهتدون سبيلاً ، حتى نرفع عنهم الظلم.

قال تعالى: [وَمَا لَكُمْ لِمَا تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا] {النساء:75} .

إن المسلمين مدعوون لإغاثة الملهوفين وإزالة الظلم عن المظلومين ورفع الأذى عن جميع الناس وإن لم يكونوا مسلمين إذا كان المسلم قادراً بشرط ألا يكونوا محاربين للمسلمين . بل المسلم مطلوب منه رفع الأذى عن الحيوان ، كمان أنه مطلوب منه أن يرعى البيئته ويحميها من التلوث والفساد ، فإِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمَفْسِدِينَ⁽³⁾.

(1) انظر: فقه الجهاد ، 428/1.

(2) التفسير الواضح ، المجلد الثاني ، الجزء 16 ، ص 64.

(2) انظر فقه الجهاد 1 / 435 ، 346.

4- **تأديب الناكثين للعهود والمواثيق:** لقد هدف الإسلام من الجهاد العسكري تأديب أولئك الذين لا يحترمون العهود ولا يراعون المواثيق ، أو يحافظون عليها ما دامت في صالحهم فإذا رأوا أنها لم تخدمهم وكان بهم قوة ضربوا بها عرض الحائط وداسوها بأقدامهم ، هذا النوع من البشر الذين نزل فيهم قوله تعالى: **[أَوْكَلْنَا عَاهِدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ نَا يُؤْمِنُونَ]** {البقرة:100} ، وهي نزلت في يهود، الذين لا يجوز أن يتركوا ليعيثوا في الأرض فساداً ويملؤها جوراً وإجراماً دون أن يعاقبوا على جرائمهم في حق شعبنا الفلسطيني الذي شردوه من أرضه تحت قوة السلاح⁽¹⁾.

5- **فرض السلام الداخلي في الأمة:** إن هذا النوع من القتال ليس موجهاً إلى غير المسلمين ، بل هو موجّه إلى المسلمين أنفسهم ، لفضّ النزاع المسلم بينهم ، فله هدف محدد وغاية معلومة ، وهي فرض السلام الداخلي بالقوة بين الطائفتين المتحاربتين من المسلمين بأقل الخسائر ضمن خطوات لإحداث المصالحة وعودة الفئة الباغية إلى الصواب ، قال تعالى: **[وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ]** {الحجرات:9} .

ويتضح من ذلك أن الإسلام يحرص على الجبهة الداخلية للمجتمع أن تسودها المحبة والأخوة بين الناس ، وأن يسود السلام تحت راية الإسلام ، الذي يقرب الناس من بعضهم ، ويوثق صلة الناس ببعضهم وينزع من صدورهم الغل والحسد عندما يقيم الإسلام المجتمع على دعائم من الحق والعدل⁽²⁾.

ب- أهداف مرفوضة للجهاد في الإسلام:

يلقي الشيخ القرضاوي الضوء على أهداف أخرى قد تخطر في بال بعض الناس أو يروجون لها ، وهي لا يقرها الإسلام مجال في قتاله ، وهي كالتالي:

1- **هدف محو الكفر من العالم مرفوض:** إن هذا الهدف مرفوض ؛ لأنه يناقض لما قرره القرآن من اختلاف الناس في أديانهم وعقائدهم وانقسامهم إلى مؤمنين وكافرين ، وموحدين ووثنيين، ومصدقين بالرسول ومكذابين لهم ، كل هذا واقع بمشيئة الله التي لا تنفصل عن حكمته ، فهو الذي خلق الناس مختلفين ، قال تعالى: **[وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ**

(1) انظر: فقه الجهاد /1 - 426 - 428.

(2) انظر: أيسر التفاسير 128/5 ، 129.

الجهاد في فكر الإمام القرضاوي

كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تَكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ [يونس:99] ، وقوله تعالى: [وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ] [هود:118] ، وبهذا يكون كل من يعمل لإلغاء هذا الاختلاف الديني ، وإجبار الناس على دين واحد ، عاملاً ضد مشيئة الله نافذة لا محالة ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ⁽¹⁾.

2- هدف قسر الناس على الإسلام مرفوض: إن الذي يقرأ النصوص الإسلامية الواضحة والمحكمة من القرآن والسنة يجد أنها ترفض اعتماد الإيمان وتصويبه ، ما لم يتم عن اختيار كامل من صاحبه ، بعد اقتناع تام بأحقيته ، وأن أي شائبة تشوب هذا الاختيار أو تشوش عليه ، تسقط اعتبار الإيمان وقبوله عند الله ، قال تعالى: [لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ] [البقرة:256] .

ثالثاً: أخلاقيات الجهاد الإسلامي:

إن القتال في الإسلام قائم على الأخلاق مثل السياسة والاقتصاد والعلم فكلها لا تنفصل عن الأخلاق ، خلافاً للحرب في قاموس الحضارة الغربية التي لا تتضبط بالأخلاق ، بل يحكم الحرب عند المسلمين دستور أخلاقي نابع من الدين الإسلامي الحنيف ، وقد أوضحه الشيخ القرضاوي في كتابه فقه الجهاد ⁽²⁾ ونستطيع أن نلخصها في الأمور التالية:

1- تحريم الإسلام استخدام أساليب غير أخلاقية لاختراق الأعداء وكشف أسرارهم عبر المحرمات كالجنس والخمر وسائر ما حرم الله تبارك.

2- الوفاء بالمواثيق والعهود ، وتحريم الغدر والخيانة ، قال تعالى: [وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا] [الإسراء:34] .

3- عدم مشروعية استخدام أسلحة الدمار الشامل: يقرر شيخنا عدم مشروعية استخدام الأسلحة الكيماوية والجرثومية ، والنووية التي تقتل الألوف بل الملايين في دقيقة واحدة وتأخذ المسيء إلى جانب البريء ، أو تعمل على تدمير الحياة البشرية ، وقال: بحرمة هذه الأسلحة ، لأن الأصل في الإسلام عدم قتل من لا يقاتل ، وقد أنكر ٣ قتل امرأة في إحدى المعارك ، ولكنه أوصى بأن ذلك لا يمنع الأمة من امتلاك أسلحة الدمار الشامل ، بل يجب عليها السعي لامتلاك هذه الأسلحة الرادعة ما دام غيرنا يمتلكها ويهددها بها ويقصد بذلك

(1) فقه الجهاد ، 450-449/1.

(2) انظر: فقه الجهاد /1 ، 723 ، 724.

- العدو الصهيوني الذي اغتصب أرضنا وأمسى يمتلكها بوعد بلفور المشئوم من وزير خارجية بريطانيا حينما منحهم وطناً في فلسطين عام 1917م.
- وأعجب ما في الأمر أن تمتلك الدول الكبرى وعلى رأسها أمريكا هذه الأسلحة ثم تحظر على الآخرين امتلاكها ، تمنعها عن الدول العربية والإسلامية ، بينما يحق لدولة الكيان المصطنع على أرض فلسطين أن تملك أكثر من مائتي قنبلة نووية ، ولا يجوز للأمة استخدام هذه الأسلحة إلا إذا تعرضت لخطر وجودها وهي حالة الخطر القصوى⁽¹⁾.
- 4- يدعو الإسلام إلى التعامل مع الأسرى بإحسان: بعد المناقشة الطويلة للنصوص الواردة في الكتاب والسنة والآراء الاجتهادية حول قتل الأسير ، انتهت المدارس إلى اعتبار الحكم النهائي الوارد في سورة الأنفال: [فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً] {محمد:4} ، وقد يستثنى من ذلك مجرمو الحروب ، أمثال ليثني وأورميت وغيرهم.
- ويقرر القرضاوي ما ورد في موثيق جنيف الدولية في شأن الأسرى ، ويعبر عن سعادته بتطور البشري في هذا الجانب ولو على الصعيد النظري - في الاتجاه الذي دعا إليه الإسلام وقرره قبل ألف وأربعمائة عام.
- 5- الأخلاق المستخلصة من نصوص الكتاب والسنة والتجربة الجهادية للأمة وهي كالتالي:
- أ- عدم قتل النساء والأطفال والشيوخ والرهبان وأصحاب الحرف المهنية والمكوفين.
- ب- يحرم قتل المدنيين.
- ج- لا يجوز التمثيل بجثث القتلى من الأعداء.
- د- لا تهدم منازل لمحاربي ولا تحرق محاصيلهم وزروعهم لغير مصلحة.
- هـ- الرحمة بالأطفال والصبيان ، لأنهم لا يدخلون الحرب إلا بعد البلوغ⁽²⁾.

المبحث الرابع

الجهاد الفلسطيني في فقه القرضاوي

أولاً: حقيقة المعركة مع الكيان الصهيوني:

إن الشيخ القرضاوي يعتبر القضية الفلسطينية هي أولى قضايا الجهاد المعاصر ، لأن أرض فلسطين اغتصبها يهود جهاراً نهاراً ، وفرضوا عليها بسياسة الحديد والنار والدم ، وشرّدوا أهلها من ديارهم وشتتوهم في أنحاء الأرض ، ويؤكد بلا نزاع أن القضية الفلسطينية هي

(1) انظر: فقه الجهاد ، 592/1.

(2) فقه الجهاد ، 725/1 - وما بعدها.

الجهاد في فكر الإمام القرضاوي

قضية المسلمين الأولى ، وهي سبب المعركة القائمة والمستمرة بيننا وبين اليهود الصهاينة من أوائل القرن الماضي إلى يومنا .

ثم يوضح الشيخ السبب الحقيقي للحرب بيننا وبين اليهود من قبل أن تقوم إسرائيل في عام الثمانية وأربعين وبعد قيامها وإلى يومنا هذا ، وي طرح عدة تساؤلات منها:

هل نعادي إسرائيل لأنها سامية ؟ ويجب إن هذا أبعد ما يكون في تفكير المسلمين وذلك لسببين أساسيين ، الأول منهما ، أننا نحن العرب ساميون ، فنحن أبناء إسماعيل بن إبراهيم U ولا تستطيع إسرائيل أن تتهمنا بأننا أعداء للسامية ، وتشهرها سيفاً في وجه كل من يعارض سياستها أو ينتقد سلوكياتها العدوانية ، فالقرآن اعتبر المسلمين كافة هم أبناء إبراهيم U والثاني أن المسلمين عالميون إنسانيون بحكم عقيدتهم وليسوا ضد أي عرق أو نسب ، ولقد علمنا الإسلام الحنيف أن البشرية كلها أسرة واحدة [يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا] {الحجرات:13} .

واليهود اليوم لم يعودوا كلهم ساميين ، فقد دخل فيهم عناصر شتى من سائر أمم الأرض ، منهم يهود " الفلاشا " ويهود من اليمن ومصر ويهود المغرب العربي ويهود مملكة الخزر ، فاليهودية ديانة وليست جنسية.

ثم يطرح سؤالاً هل نعادي إسرائيل لأنها يهودية ؟ فيجب إن اليهودية ديانة سماوية وإن موسى U من أولي العزم من الرسل والقرآن الكريم اختار لليهود والأنصار لقباً يوحى بالقرب والإيناس منهم وهو أهل الكتاب ، ونحن لا نعادي الديانات السماوية ، ويجب شيخنا أن السبب الحقيقي لمعركتنا مع يهود ، هو أنهم اغتصبوا أرضنا - أرض الإسلام - أرض فلسطين وشردوا أهلها وفرضوا وجودهم الدخيل بالعنف والإرهاب والتقتيل ولذلك ستظل المعركة بيننا وبينهم قائمة ما دام الاحتلال جاثم على أرضنا ، وسيظل الصلح مرفوضاً إذا كان مبنياً على الاعتراف بأن ما اغتصبوه من الأرض حق لهم ! ولا يملك أحد أن ينتازل عن أرض فلسطين التي هي أرض وقف للمسلمين منذ أن فتحها المسلمون فأصبحت دياراً للمسلمين (1).

ولذلك فهو يعتبر مبدأ " الأرض مقابل السلام " مبدأً غريباً ، فرضه منطق القوة الغاشمة للعدو ، لأن الأرض أرضنا ، لا أرضه ، حتى يتفضل بتنازله عنها مقابل سلامه هو ! وحتى هذا السلام الأعرج ، الذي لا يحقق دولة للفلسطينيين كاملة السيادة وعاصمتها القدس الشريف ، ترفضه إسرائيل ، فهي تريد أن تأخذ وتبتلع مزيداً من الأرض ولا تُعطي شيئاً.

(1) انظر فقه الجهاد 2/ 1095 وما بعدها.

لذلك فمعركتنا مع اليهود قائمة إلى أن يعود الحق الفلسطيني المتمثل في كامل فلسطين، وطابع المعركة هو الطابع الديني العقدي للدفاع عن الحق السليبي ، لأن كل معركة يدخلها مسلم للدفاع حق أو لمقاومة باطل ، أو لإقامة عدل ، أو للثورة على الظلم ، فهي معركة دينية ؛ لأنها معركة في سبيل الله.

والإسلام يوجب على المسلمين الدفاع عن أرض الإسلام ويعتبر ذلك من أقدس أنواع الجهاد ، كما يَعدُّ من قتل في ذلك شهيداً من أعظم الشهداء ، والجهاد دفاعاً عن الأرض فرض عين على أهلها ، ثم الذين يلونهم حتى تشمل المسلمين كافة ، ولا يجوز الشرع الإسلامي للمسلمين أن يتنازلوا عن ذراع واحد من أرض الإسلام.

يجوز الشرع الإسلامي للمسلمين أن يتنازلوا عن ذراع واحد من أرض الإسلام ، فإذا كانت أرض الإسلام هي أولى القبلتين وثالث الحرمين ، كان الجهاد في سبيل تحريرها أوجب وأعظم وأشرف في دين الله.

وإذا كان مغتصبوها يحاربوننا بدوافع دينية ، كان أوجب علينا أن نحاربهم بمثل ما يحاربوننا فإذا حاربونا بالتوراة حاربناهم بالقرآن ، وإذا رجعوا إلى التلمود رجعنا إلى البخاري ومسلم ، وإذا جندوا جنودهم باسم موسى جندنا جنودنا باسم موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، لأننا أولى بموسى منهم (1).

ثانياً: القرضاوي يدعو إلى نصره القضية الفلسطينية:

لقد تجلت مواقف شيخنا الداعمة والمناصرة للقضية الفلسطينية في كثير من المواقف التي أشعرتنا بأنه دوماً يقف إلى جانبنا في نصره قضيتنا العادلة وكأنه مجاهد من أبناء الشعب الفلسطيني ، بل قائد من قاداته العظام ، فهو ما يزال في الميدان الجهادي مع شعب فلسطيني بمواقفه التي تمثلت في التالي:

1- لقد ندد شيخنا في المؤتمر الشعبي في القاهرة لنصرة الشعب الفلسطيني بالمواقف الأمريكية الداعمة لإسرائيل بالسلاح والمال والفيديو الأمريكي مما جعل إسرائيل تعربد وتقتل وتدمر الفلسطينيين ، مشيراً للضوء الأخضر الذي تعطيه أمريكا لإسرائيل ، ورفضها طلب الفلسطينيين نشر مراقبين دوليين ، ولجنة تحقيق في المجازر التي ارتكبتها إسرائيل في رام الله وجنين ، واستغرب الإدعاء بأن أمريكا راعية سلام ، وهي تقف بجانب الصهاينة أكثر منهم وطالب بمقاطعة البضائع الأمريكية التي تباع في كل مكان في الوطن العربي

(1) فقه الجهاد ، 1099/2 - 1100 وانظر في قضية فلسطين الحق والباطل ص 21 وما بعدها.

الجهاد في فكر الإمام القرضاوي

والإسلامي متسائلاً ، لماذا لم تقاطع بضائعهم رداً على ما يفعلونه بالعرب والمسلمين ، مشيراً إلى المليارات التي تدفع لشراء السجائر والمشروبات والمنتجات الأمريكية التي يستهلكها السوق العربي ، مؤكداً أن المقاطعة للمنتجات الأمريكية يمكن أن تضر بالاقتصاد الأمريكي وبشركاته التي يمكنها الضغط على صناعات القرار... وأنه يجب تربية الأمة على مقاطعة السلع الأمريكية وضرب الاقتصاد الأمريكي⁽¹⁾.

2- طالب بالصبر على الانتفاضة في فلسطين والعمل على دعمها باعتبار الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة كل ما يقدر عليه.

3- ودعا فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي وعدد من علماء المسلمين ، الأنظمة العربية إلى فتح باب الجهاد يوم أن أعلنت إسرائيل الحرب على قطاع غزة المحاصر في 2008/12/27م ، وقد بلغ عدد الشهداء حوالي ألف وخمسمائة وخمسين شهيداً تلتهم من الأطفال وإصابة أكثر من ألفين وسبعمئة بجروح بين متوسطة وبليلة ، وكانت هذه الإحصاءات بعد مرور عشرة أيام على حرب الفرقان ، وطالب يومها الأمة أن تجعل يوم الجمعة يوماً عالمياً لنصرة غزة ، والغضب من أجل غزة في مواجهة العدوان الإسرائيلي، والقنوت في الصلاة قنوت النوازل ، وصلاة الغائب على أرواح الشهداء.

وطالب الشيخ عبد المجيد الزنداني الأنظمة العربية إلى فتح المجال أمام المتطوعين لمساندة المقاومة الفلسطينية في وجه العدوان الإسرائيلي ، وقال الداعية اليميني يومها " افتحوا معسكرات التطوع للشباب من أجل الجهاد " مشدداً على أن إسرائيل ستتوقف عن عدوانها إذا وجدت الملايين يتطوعون لمحاربتها.

وحذر الشيخ الزنداني من أن " استمرار تقاعس الحكام عن نصرته أهلنا في غزة قد يقود إلى كوارث ؛ لأن الشعوب لا تقبل التقاعس ، وإذا وجدت ذلك فإنها ستخرج عن السيطرة⁽²⁾.

4- يدعو القرضاوي إلى استخدام سلاح النفط لخدمة القضية الفلسطينية ، فيقول يجب على الدول العربية أن تحذو نفس ما حدث في حرب أكتوبر عام 1973 في مصر عندما منعت الدول العربية البترول عن الدول الأجنبية ، حيث كان لذلك السلاح الأثر الإيجابي لتحرير أرض مصر من العدوان الإسرائيلي ، فعلى الحكام العرب أن يبحثوا آثار هذا الأمر على الغرب ومدى ما يمكن أن يتحقق لصالح قضاياها في العالم العربي والإسلامي.

(1) موقع القرضاوي ، خطاب القرضاوي في مؤتمر شعبي في القاهرة لنصرة الشعب الفلسطيني.

(2) موقع القرضاوي والزنداني يدعوان لنصرة غزة ، صحيفة الركاك الثلاثاء 2009/1/6م.

وإذا أجمعت الأمة العربية على ذلك فإن الدول الغربية سوف تعلن في وقت قريب تقشفها وإفلاسها ، وسوف تتحرك بشكل فاعل للتدخل في حسم قضايا منطقة الشرق الأوسط ، لأن من الواجب التصدي لهذا العدو الغاشم بدون تراجع عن هذه المقاطعة ؛ لأن هنا هجمات شرسة يتعرض لها الشعب الفلسطيني ، وهذه التجارب التي تستخدمها إسرائيل مستخدمة لأحدث الأسلحة المتطورة تكنولوجياً ، يتم الأطفال ، ورملت النساء ، ودمرت البيوت والمصانع والمؤسسات ، وجرفت مزارع الزيتون ، وهاجمت مقرات الحكومة الشرعية ، واستهدفت اغتيال القيادات الفلسطينية المجاهدة ، وجعلت قطاع غزة أرضاً محروقة ، تستخدم إسرائيل أسلحتها المتطورة والمحرمة دولياً ضد شعب أعزل إلا من سلاح العقيدة والإيمان⁽¹⁾.

5- أكد شيخنا القرضاوي على ضرورة تسليح الفلسطينيين، حتى لا تكون الانتفاضة مجرد انتعاشة ، بل حركة جهادية ومقاومة باسلة ، بدأت بالحجر والغضب عندما دخل شارون وجنوده المسجد الأقصى ، واستمرت حتى اليوم على الرغم من أن شارون وعد بالقضاء عليها في مائة يوم... ومرت مئات الأيام وازدادت الانتفاضة قوة ؛ لأن في الأمة رجالاً وأن في فلسطين أبطالاً ، حيث جاء على لسان يهود قوله تعالى: [إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ] {المائدة:22} ، وهم كذلك مشيراً لما يقوم به الشعب الفلسطيني من مقاومة للجبروت وللترسانة العسكرية الإسرائيلية ، وبما تملكه المقاومة الفلسطينية في جنين وغزة من عتاد محدود جداً ضد الدبابات والمروحيات الإسرائيلية ، ورغم ذلك فقد اعترف العدو بأنه واجه مقاومة شديدة من أهل جنين الأسود ، وأن المجاهد منهم يحيط نفسه بالديناميت ويقف أمام الدبابة ، وظلوا يقاتلون حتى نفذت منهم ذخيرتهم... وما أكثر الذخائر في المخازن العربية التي تترك حتى تصدأ... ويذبح أبناء فلسطين لأنهم لا يجدون رصاصة يدافعون بها عن أنفسهم مؤكداً أن الانتفاضة أثبتت أن الإيمان يصنع الأبطال الفطام الذين أعادوا سيرة خالد بن الوليد وصلاح الدين.. وأن الانتفاضة وحدت الشعب الفلسطيني كله سلطة ومعارضة والفصائل بكافة أطرافها السياسية كالبنیان المرصوص⁽²⁾.

6- مشروعية العمليات الاستشهادية في فلسطين: وصف الشيخ القرضاوي العمليات التي ينفذها شباب فلسطينيون بتفجير أنفسهم في الأعداء بأنها عمليات استشهادية رافضاً الرأي القائل بأنها ربما تكون من قبيل قتل النفس ، بل إنه اعتبرها من أعظم أعمال الشهادة ، ولا تدخل

(1) موقع القرضاوي ، حديث صحفي للقرضاوي لمعرفة رأيه من الأحداث الراهنة.

(2) موقع القرضاوي ، خطاب في المؤتمر الشعبي في القاهرة لنصرة الشعب الفلسطيني.

الجهاد في فكر الإمام القرضاوي

في دائرة الإرهاب المحظور المجرم ، وإن كان من ضحاياها بعض المدنيين معتمداً على عدة أسباب:

أ- إن المجتمع الإسرائيلي الاستعماري الاستيطاني هو مجتمع عسكري أي أن كل من جاوز سن الطفولة فيه ، من رجل أو امرأة ، مجند في جيش الاحتلال إما بالفعل وإما احتياط ، وأن ما يسمونهم: " مدنيين " هم في الحقيقة " عساكر " في جيش بني صهيون.

ب- المجتمع الإسرائيلي مجتمع غزا ، جاءوا من أشعاع العالم ليحتلوا وطناً ليس لهم ، وطردهوا أهلها بالإرهاب المسلح ، ومن حق المغزور أن يحارب غزاته بكل الوسائل ليخرجهم من دياره.

ج- إن يهود تجمعوا بقوة السلاح فوق هذه الأرض المقدسة فهم غزاة وحربيون والشرع الحنيف يعتبرهم غير معصومي الدم والمال ؛ لأنهم أسقطوا بحريهم وعداوتهم على المسلمين عصمة الدم والمال.

د- إن الفقهاء المسلمين أجازوا قتل المسلمين إذا تترس بهم الجيش المهاجم بهم ، أي اتخذهم دروعاً بشرية يحتمي بها ، فإذا أجاز الفقهاء ذلك ، فإن جواز قتل غير المسلمين لتحرير أرض المسلمين من المحتلين الظالمين أحق وأولى⁽¹⁾.

لكل هذه العوامل يعتبر الشيخ القرضاوي أن ما يحدث هو أعظم أنواع الاستشهاد فالفلسطيني يقدم روحه على كفه لطرده هؤلاء الغزاة ، قال تعالى: [وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ] {البقرة:207} .

فهل هناك جريمة أشد من طرد الإنسان من الأرض التي ولد عليها ، وأكل من خيرها ، وشرب من مائها واستنزل بظلمها ، ولعب فوقها ، لذلك شرع الجهاد في سبيل الدفاع عن الدين والوطن والمال والنفوس والعرض ، وللحفاظ على الحقوق.

7- رأي شيخنا أن الفلسطينيين يحق لهم الأخذ من أموال الزكاة الشرعية وأنهم يستحقونها من أكثر من وجه فمنهم الفقراء والمساكين ، وهم كذلك أبناء سبيل ، وهم مجاهدون في سبيل الله ، فيعطى المجاهد ولو كان غنياً تثبيتاً له وإعانة على الجهاد⁽²⁾ ، قال تعالى: [إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ] {التوبة:60} .

(1) فقه الجهاد ، 1085/2-1086.

(2) إسلام أون لاين ، العلامة القرضاوي في أحدث فتوى بشأن الجهاد بالمال والنفوس.

8- دعا العلامة القرضاوي الأمة الإسلامية في جميع أرجاء المعمورة إلى أن تقيم ليلة الجمعة الموافق 2009/10/9 وتتهجد وتتضرع إلى الله U لنصرة مدينة القدس المحتلة والمجاهدين والمرابطين في المسجد الأقصى عندما حاول الصهاينة افتتاح ساحات المسجد الأقصى، وطالب أبناء الأمة بالخروج في مظاهرات عارمة سلمية تنادي " لبيك يا أقصى" محذراً من أن الاحتلال يسعى إلى تقسيم المسجد بين المسلمين واليهود ، مثلما حدث في الحرم الإبراهيمي.

وأكد شيخنا القرضاوي أن من حق الأقصى على الأمة الإسلامية حكماً ومحكومين أن نفيده بأنفسنا وأموالنا ، ولا ينبغي علينا أن نتواكل ، ولا يجوز التخلف عن نصرته القدس ، مبدياً تعجبه من قيام بعض الحكومات العربية بمنع شعوبها من التعبير السلمي عن الاحتجاج من أجل الأقصى ، معتبراً أن هناك خللاً وخوفاً أكثر من اللازم من جانب هذه الأنظمة ، أن تستولي هذه المظاهرات على الحكم (1).

9- لا حق لليهود في القدس ولا في فلسطين: أكد القرضاوي بما لا يدع مجالاً للشك: أن القدس عربية إسلامية ، كما أن فلسطين كلها عربية إسلامية ، وليس لليهود فيها أي حق حتى يسلبوها من أهلها الشرعيين ، ويحولوها إلى عاصمة لكيانهم القائم على الاغتصاب والعدوان.

وقال: " إن اليهود أخذوا القدس ، وأن من يفرط في المسجد الأقصى يوشك أن يفرط في المسجد الحرام " ، وتابع القول: في افتتاح المؤتمر الخامس لمؤسسة القدس الذي استضافته الجزائر في الفترة من 26 إلى 28/مارس/2007 " من واجب الأمة العربية الإسهام في عملية البناء ومساعدة الفلسطينيين في الدفاع عن هويتهم والجانب الحضاري لمدينة القدس " (2) ، ودعا إلى الجهاد المدني في فلسطين من بناء مساجد ومستشفيات حتى تصمد القدس ، وتحافظ على طابعها الإسلامي في وجه المخططات الصهيونية التي تعمل على طمس معالمها الإسلامية.

الخاتمة

لقد أوضح البحث الفكرة الصائبة عن حقيقة الجهاد كما أثبتتها الشيخ الإمام القرضاوي، ولطالما دافع عنها ، وحاول من خلالها وضع الأمة في صورة الجهاد الصحيح للأمة الوسط ، التي هداها الله إلى المواقف الوسط حتى في جهادها من أجل البناء والعمران ، وتحقيق التقدم

(1) موقع القرضاوي شدوا الرجال للأقصى ، محمد مهران.

(2) موقع القرضاوي ، القرضاوي يدعو الأمة إلى الجهاد.

الجهاد في فكر الإمام القرضاوي

والرفاه في جميع مجالات الحياة ، أو الجهاد العسكري للقضاء على الظلم وقهر المحتل وعودة الحق إلى أصحابه الشرعيين .

وتوصل البحث إلى أهم النتائج والتوصيات التالية:

أولاً: أهم النتائج:

- 1- يرى شيخنا أنه في ظل المجتمع الدولي الذي يعترف بحقوق الإنسان ، وحرية الاعتقاد والدعوة إليه ، وحماية الأقليات ، ينتهي سبب أساسي من أسباب جهاد الطلب أي الجهاد من أجل الدعوة لهذا الدين ، وما يقتضيه ذلك من إزاحة عقبة الأنظمة الطاغوتية التي كانت تمنع الدعوة وتضع السدود والحواجز أمام الدعاة ، فالدعوة اليوم تصل إلى جميع الناس بواسطة الوسائل التكنولوجية الحديثة.
- 2- العمليات الاستشهادية للشباب المسلم المجاهد على أرض فلسطين جائزة شرعاً وهي سلاح ردع لهذا العدو الذي يقصف ويدمر ويقتل الإنسان والشجر والحجر وكل ما هو متحرك بطائراته ودباباته ويؤيد ذلك القراءة في الآية الكريمة إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون التوبة 111 حيث قرئت بتقديم المبني للمجهول على المعلوم فيقتلون ويقتلون أي أنهم يفجرون أنفسهم في الأعداء فيستشهدون أولاً ويقتلون الأعداء.
- 3- لقد اعترف الإسلام بحرية اختيار العقيدة لكل إنسان ، ولم يُجبر الإسلام الناس على اعتقاد عقيدة الإسلام بقوة السيف ، وإنما يتركهم أحراراً في اختيار هذا الدين الحنيف ، ولذلك فإن الديانات تعيش في ظله بأمن وسلام ، يدفعون الجزية وهي تقابل ضريبة الخدمة العسكرية.
- 4- ليس من أهداف الجهاد الإسلامي في العسكري القضاء على الكفر ، ويعتبره الشيخ هدفاً مرفوضاً ، وحسب المسلمين أن يكون لهم جيش قوي يمتلك أحدث الأسلحة وعلى درجة عالية من التدريب حتى يستطيع ردع الأعداء ، ولا يفكروا في الهجوم على المسلمين.
- 5- الأصل في العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو السلام والتعاون ، ولا يقدم على الحرب إلا وهو كاره لها ، والسلام هو عنوان الإسلام ، ولذلك فالإسلام يرحب بالمواثيق الدولية التي تحظر العدوان وتدعو إلى السلم في علاقات الدول ، كما ويمقت الإسلام سياسة احتكار الدول الكبرى لحق الاعتراض (الفيتو) ويعتبر ذلك تحدياً صارخاً لمبدأ المساواة بين الدول والشعوب.
- 6- يُصنف الإسلام دول العالم إلى ثلاث ، دولة الإسلام التي تسودها الشريعة الإسلامية ، ودولة لها عهد مع دولة المسلمين أو اعتراف متبادل ومنع للاعتداء ، والأخرى دار حرب، ويعتبر

د. عصام العبد زهد

القرضاوي كون المسلمين جزء من نظام الأمم المتحدة ، فهم في حالة تعاهد مع دول العالم ، ما عدا دولة الكيان الصهيوني بسبب اغتصابها لأرض فلسطين وتشريد شعبها ، ويأسف أن ذلك تم بمباركة ومساعدة من الدول الكبرى ، ويعتبر أن ذلك مشكلة كبرى ، وهي الدعم اللا محدود ، والتأييد الكامل للعدوان الإسرائيلي على المقدسات والإنسان والأرض في فلسطين .

7- تحرير القدس والمقدسات وسائر فلسطين من العدو الصهيوني الماكر واجب على المسلمين جميعاً ، من خلال الدفاع عن القضية الفلسطينية والوقوف بجانب جهاد الشعب الفلسطيني بالمال والسلاح والنفس .

ثانياً: التوصيات:

1- يُوصي الباحث بقراءة كتاب " فقه الجهاد " للشيخ القرضاوي ، لأنه يغرس مفهوم الجهاد السليم في نفوس الشباب التواق للجهاد ، ولتحرير فلسطين والقضاء على الظلم والفساد في كل مكان ، ولأنه يقدر في العقول الفكر المستنير الذي يمثل أخلاقيات الأمة الإسلامية ووسطيتها .

2- الاهتمام بالدراسات القرآنية الموضوعية ، التي تكشف الحلول للمعضلات التي تواجه الأمة في جميع مناحي الحياة ، ضمن الرؤية الربانية في القرآن والسنة النبوية .

المصادر والمراجع

- 1- الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، ط 1405هـ-1985م ، ط دار السلام .
- 2- إسلام أون لاين ، العلامة القرضاوي في أحدث فتوى بشأن الجهاد بالمال والنفس .
- 3- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، للبيضاوي ، ط 1402هـ-1982م ، دار الفكر .
- 4- أيسر التفاسير ، لأبي بكر الجزائري ، ط 3 ، 1418هـ-1997م ، دار العلوم والحكم .
- 5- التحرير والتنوير ، للشيخ محمد بن عاشور ، ط 1984م ، الدار التونسية للنشر .
- 6- تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ط 1413هـ-1992م ، مكتبة دار الفيحاء .
- 7- التفسير الواضح ، الدكتور محمد محمود حجازي ، ط 1406هـ-1986م ، دار التفسير .
- 8- تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، سميح عاطف الزين ، ط 2 ، دار الكتاب ، بيروت .
- 9- تيسير الفقه للمسلم المعاصر في ضوء القرآن والسنة ، للدكتور يوسف القرضاوي ط 2 1425 هـ - 2004 م مكتبة وهبة .
- 10- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، للطبري ، ط 1404هـ-1984م ، دار الفكر ، بيروت .
- 11- الجامع لأحكام القرآن الكريم ، للقرطبي ، طبعة دار الشعب ، الريان للتراث .

الجهاد في فكر الإمام القرضاوي

- 12- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، لابن تيمية ، ط 1408هـ-1978م ، بيروت.
- 13- فتح القدير ،الجامع بين فني الرواية والدراية ،للشوكاني ، ط 5 ، دار المعرفة ، بيروت.
- 14- الفقه الإسلامي وأدلته ، د. وهبة الزحيلي ، طبعة دار الفكر .
- 15- فقه الجهاد دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته ، للإمام يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة.
- 16- في قضية فلسطين الحق والباطل ، لنبيل شبيب المركز الإسلامي في آخن (مسجد بلال) ط1(1398هـ - 1978 م).
- 17- الكشف ، للزمخشري ، ط دار المعرفة ، بيروت ، سنة الطبع لا يوجد.
- 18- لسان العرب ، لابن منظور ، ط (لا يوجد) ، دار صادر ، بيروت.
- 19- المحلى ، لابن حزم الظاهري ، ط1 ، دار الطباعة المبشرية ، القاهرة.
- 20- المعجم الوسيط ، عبد السلام هارون ، ط 1381هـ.
- 21- مناهج الشريعة الإسلامية ، للشيخ أحمد العجوز ، ط1 ، 1403هـ ، بيروت.
- 22- المنجد في اللغة ، لويس معلوف ، ط جديدة.
- 23- موقع القرضاوي ، الجديد في جهاد القرضاوي ، مقال للشيخ راشد الغنوشي.
- 24- موقع القرضاوي ، القرضاوي والزنداني يدعوان لنصرة غزة ، صحيفة الركاكز .
- 25- موقع القرضاوي خطاب للقرضاوي في مؤتمر شعبي في القاهرة لنصرة الشعب الفلسطيني.